ابن سينا والحكمة المشرقية(١)

[تمهيد]:

تهبُّ الصَّبا بليلة من جانب الشاطئ الشرقي، وتميل بأفنان البساتين فتجعل صيفَ المرسى(٢) ربيعًا، وتجلو من أحاسن محاسنها منظراً بديعاً. وكما تميل بالأفنان، كذلك تميل بها للنفوس من الفنون، فإذا كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون:

---

(١) نشر في قسمين في **الهداية الإسلامية**، المجلد ٩، الجزء ٣، رمضان ١٣٥٥هـ (ص١٤١-١٥٤)؛ والجزء٤، شوال ١٣٥٥هـ (٢٠٩-٢١١) بعنوان «ورقة مطوية من تاريخ الفلسفة الإسلامية: الشيخ ابن سينا والحكمة المشرقية».

(٢) المرسى بلد أفيح ذو قصور وبساتين واقع على شاطئ البحر [الأبيض] المتوسط قرب قرطاجنة القديمة، وبها آثار رومانية. وكانت تُسمَّى مرسى عبدون، ثم سميت مرسى جراح باسم رجل صالح كان قد جعل فيها رباط حراسته على البحر يقال له سيدي جراح، لقيه الشيخ محيي الدين ابن عربي في عام ٥٩٠هـ. وقد دخلها الشيخ محيي الدين بن عربي مرتين في عام ٥٩٠هـ قاصدًا الحج ولقي بها الشيخ عبدالعزيز المهدوي دفين رباط المرسى، ثم دخلها مرة ثانية في عام ٥٩٨هـ وأقام في رباط الشيخ عبدالعزيز بها تسعة أشهر. ثم سميت مرسى الظريف؛ لأن في طرفها القبلي على شاطئ البحر جبلاً به مقام الشيخ محمد الظريف. ثم ابتنى بها السلطان أبو عبيدالله بن الحسن الحفصي قصرًا وبساتين فسميت العبدلية. - **المصنف**. تقع المرسى على مسافة ١٨ كيلومترًا شمالي مدينة تونس، وهي تمثل مع حلق الوادي والكرم وقرطاج ضاحيتها الشمالية، وكانت بها سكنى المصنف رحمه الله. والصَّبا ريحٌ معروفة عند العرب، تُقابلها الدَّبور، وتُجمع على صبوات وأصباء. وقيل إن مهبَّها المستوي أن تهب من الشرق أو من جهة مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. ولهذه الريح مكانة خاصة عند الشعراء، فكثيرًا ما يتغنون بها ويخاطبونها باثين لها شكواهم ومحملين إياها تحياتهم وأشواقهم إلى محبوبيهم، ومن ذلك قول الأرجاني:

سَلامٌ بِهِ بَعَثْتُ مِنْ هَوًى ... وَإِنْ هِيَ بَاتَتْ بِلَيْلِ السَّلِيمِ
عَلَى يَدِ رِيحِ صَبَا رِيحُ صَبٍّ ... إِلَى مُقْلَتَيْ رَشَإٍ بِالصَّرِيمِ =

فَمَفْتُــــونٌ بِآيَـــاتِ المَثَـــانِي　　وَمفتـــون بِرَنَّـــاتِ المثـــاني(١)

وأنا مولَعٌ بورقةٍ تُحرَّر، أو كتابٍ يُطالع فيه رأيٌ أصيل، أو أدبٌ جزيل. ولا بدع أن تهز الصبا أريَحِيَّتي صيفًا، كما كانت تهزّ في الشتاء رياحُ أبي عقيل.(٢) وقد

= **ديوان الأرجاني** (ناصح الدين أحمد بن محمد)، تحقيق قدري مايو (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨)، ج٢، ص١٨٩. والرَّشأ: ولد الظبية، وتشبه به المرأة الصبية.

(١) البيت (وأوله «فمشغوف» بدل «فمفتون») هو الثاني من مقطوعة من ثمانية أبيات للحريري من بحر الوافر، يصف فيها البصرةَ ومباهج الحياة ومرافق الحضارة فيها، أولها وآخرها البيتان الآتيان:

بِهَــا مَــا شِــئْتَ مِــنْ دِيــنٍ وَدُنْيَــا　　وَجِـــيرَانٍ تَنَـــافَوْا فِي المَعَـــانِي

وَدُونَـــكَ صُـــحبَةَ الأَكْيَـــاسِ فِيهَـــا　　أَوِ الْكَاسَـــاتِ مُنْطَلِـــقَ الْعِنَـــانِ

الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان: **مقامات الحريري المسمى بالمقامات الأدبية** (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ) ص٥٢٥-٥٢٦ (المقامة الثامنة والأربعين: المقامة الحرامية).

(٢) أبو عقيل هو لبيد بن ربيعة العامري، كان نذر في الجاهلية، وقيل في الإسلام، أن لا تهبَّ الصَّبَا إلا أطعم المحاويج. وقد لحقه احتياجٌ آخرَ عمره في بعض السنوات، فأراد أن يستمنح أميرَ الكوفة الوليد بن عقبة، وكان لبيد قد انقطع عن قول الشعر، فقال لابنته: قُولِي شعرًا، فأنشدت:

إِذَا هَبَّـــتْ رِيَـــاحُ أَبِي عَقِيــــلِ　　دَعَوْنَـــا عِنْـــدَ هَبَّتِهَـــا الْوَلِيـــدَا

- المصنف. وبقية الأبيات:

أَشَـــمَّ الأَنْـــفِ أصـــيَد عَبْشَـــمِيًّا　　أَعَـــانَ عَـــلَى مُرُوءَتِـــهِ لَبِيـــدَا

بِأمْثَـــالِ الهِضَـــابِ كَـــأَنَّ رَكْبًـــا　　عليهـــا مِـــن بَنِـــي حَـــام قُعـــودا

أَبَـــا وهْـــبٍ جَـــزَاكَ اللهُ خَـــيْرًا　　نَحَرْنَاهـــا وأَطْعَمْنَـــا الثَّرِيـــدا

فَعُـــدْ إِنَّ الْكَـــرِيمَ لَـــهُ مَعَـــادٌ　　وظَنِّـــي بِـــابْنِ أَرْوَى أن يَعُـــودا

قدم أبو عقيل على النبي ﷺ سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب بن عامر بن صعصعة، وأسلم وحسن إسلامه. ابن عبدالبر [النمري]، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢/ ١٩٩٢)، ج٣، ص١٣٣٥-١٣٣٦. وذكر ابن سلام أن لُبيدًا لَمَّا انقطع عن قول الشعر قال: «قد أبدلني الله بالشعر سورةَ البقرة وآلَ عمران، فزاد عمر في عطائه فبلغ به ألفين، فلما وليَ معاويةُ قال: يا أبا عقيل عطائي وعطاؤك سواء، لا أُراني إلا سأحطك، قال: أَوَتدعني قليلاً ثم تَضُم عطائي إلى عطائك، =

كنت من قديم مُغرَمًا بمؤلفات الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا أن تجمع قولاً فصلاً، ورأيًا عدلاً ومنطقًا، لا هراء ولا هزلا.

فلما مالت بِيَ المطالعةُ إلى جانب قماطير الحكمة، اجتذبتُ منها كتابًا كان ظهر في المطبوعات منذ عام ١٣٢٨هـ معنونًا باسم «منطق المشْرقِيِّين»، منسوبًا إلى الشيخ ابن سينا، مما نشرتْه المكتبةُ السلفية لصاحبيها الفاضلين محبّ الدين الخطيب وعبدالفتاح الفتلان. وله مقدمة تستغرق ثمانية وثلاثين صفحة، فيها ترجمةُ الشيخ منقولةً عن أهم المصادر.

وذلك عملٌ يُشكر عليه صاحباه، شُكْرَ مَنْ عمل عملاً برَّ به أباه. لكن هذه المقدمة لم يكن فيها نصيبٌ من التعريف بالكتاب المعنْوَن، ولا بتصحيح نسبته إلى الشيخ، ولا التعريف بالأصل الذي نُقِل عنه والمكتبة التي تحويه. ولعل المُطالِعَ يشتهي أن يعرفَ هذا الكتاب وصحةَ نسبته إلى أبي علي، ثم هو يتوق إلى العلم بماذا يعني الشيخ حين يصف الحكمةَ بالمشرقية، وحين يصف بعضَ الحكماء بالمشرقيين. وقد احتار في ذلك الباحثون من قديم، ولم يأْوَوْا بالحَرَّان[1] إلى ظلٍّ بارد ولا كريم[2].

= فتأخذه أجمع... وعُمِّر عمرًا طويلاً، وكان في الجاهلية خيْرَ شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم، ويعد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم، وكان يُطعم ما هبت الصبا، وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا قال: أعينوا أبا عقيل على مروءته.» الجمحي: **طبقات الشعراء**، ص٥٧. وانظر أخباره في الأصفهاني: **الأغاني**، ج٥/ ١٥، ص٧١٨-٧٣٠ (نشرة الحسين)

(١) الحران: العطشان، ومؤنثه حَرَّى. وفي الحديث عن سراقة بن مالك قال: «سألتُ رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضي، قد لطتها لأبلي، فهل لِيَ من أجر إن سقيتها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حَرَّى أجر». **سنن ابن ماجه**، «أبواب الأدب»، الحديث٣٦٨٦، ص٥٢٨؛ **المستدرك على الصحيحين**، «كتاب معرفة الصحابة ﷺ»، الحديثان٦٦٧٨-٦٦٧٩، ج٤، ص٥٣-٥٤.

(٢) ههنا تضمين من قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الحاقة:٤٣-٤٤].

أصل الحكمة اليونانية المنقولة إلى العربية:

للحكمة التي اشتغل بها فلاسفةُ الإسلام طريقتان: إحداهما طريقةُ أفلاطون وأُستاذَيه،[١] وهي مشهورة بحكمة الإشراق (بكسر الهمزة). والأخرى طريقةُ أرسطاليس وأتباعه، وهي المشهورة بالحكمة المشّائيّة (بفتح الميم وتشديد الشين). وقد نشأت الطريقتان عن ترجمة كتب إمامَيهما وترك ما عداها.

والحكمتان تتّحِدان في كثير من الأصول وخاصة في الطبيعيات والرياضيات، وتختلفان فيما عدا ذلك؛ أي في العلم الكلِّي الذي يبحث عن الصفات العامة العارضة لجميع الموجودات، والعلم الإلهي وهو الذي يبحث عن المجرّدات، وواجب الوجود وصفاته، وأهل السفارة عنه، ومصير النفوس بعد الموت، فهاهنا تختلف الحكمتان اختلافًا بينا. فالحكمةُ الإشراقية طريقُها المكاشفةُ وانقداحُ الحقائق في النفس، وأما ما يُذكر معها من الأدلة فإنما هو للإقناع. والحكمةُ المشّائيّة سبيلُها البحث والقياس العقلي أو الاستقرائي، مع رفضهم الحكمةَ الذوقية.[٢]

ووجهُ تسمية الأولى بـ «الإشراقيّة» أنها تعتمد على إشراق العقل بالارتياض والتجرّد عن الرذائل، فبكثرة الإشراق تكثر الأنوارُ الانكشافية وتتولّد الحقائق الصادقة ومناسباتها. قال السُّهروردي[٣] في حكمة الإشراق: «الإشراقيون لا ينتظم أمرُهم

---

(١) أستاذا أفلاطون المعروف اسماهما هما: كراتليس Cratylus الذي كان تلميذًا لهراقليطس Heraclitus، وبلغ بشك أستاذه مبلغًا بعيدًا فزعم أنه لا يمكن الاستحمامُ في ماء النهر ولو مرة واحدة حسب ما ذكر أرسطو في ميتافيزيقاه، كنايةً عن التغير والسيلان المطلق الذي لا ثبات معه لأية حقيقة. والثاني سقراط الذي لزمه أفلاطون منذ العشرين من عمره حتى وفاة الأستاذ مسموماً. وقد وصلت إلينا فلسفةُ سقراط وآراؤه بفضل ما دونه عنه أفلاطون في محاوراته المختلفة.

(٢) شرح القطب الشيرازي على حكمة الإشراق للسهروردي خط ورقة ٢ وورقة ٩ وورقة ١٣٤. -المصنف. شيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص٣، ١١، ١٨٠-١٨٣.

(٣) هو الحكيم يحيى بن حَبْش (بحاء مهملة مفتوحة وموحدة ساكنة وشين معجمة) السهروردي (بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء، [من سهرورد] بلد من جبال أذربيجان). تُوُفِّيَ مقتولاً في حلب سنة ٥٨٧هـ. له كتب جليلة في الحكمة، منها «حكمة الإشراق»، و«هياكل النور»، و«التلويحات»، و«الألواح». - المصنف.

دون سوانح نورية، [فإن من هذه القواعد ما تبتنى على هذه الأنوار]، حتى إن وقع لهم شكٌّ يزول عنهم بالنفس المنخلعة عن البدن.»[١] ووجهُ تسمية طريقة أرسطاليس بـ «المشّائيّة»، قيل لأن إمامها لا يعتمد إلا على الأدلة العقلية دون الأذواق والانكشافات الروحية، فهو يمشي مع البرهان، فلذلك قيل له: «المشّاء». وقيل: لأنه كان يُعلِّم تلاميذَه وهو يمشي وهم معه، وهذا هو الصحيح في وجه التسمية.

ولم يزل فلاسفةُ الإسلام يَحْسَبون بونًا بين الحكمتين، ولكن لبعض المحققين منهم ميلاً إلى التوفيق بين الطريقتين في كثير من المسائل، كما فعل أبو نصر الفارابي[٢] في الكتاب الذي أسماه «الجمع بين رأيي الحكيمَين الفاضلين»؛ يعني أفلاطون وأرسطاليس.

طريقة الشيخ ابن سيناء في الحكمة:

كان الشيخ ابنُ سينا قد نشأ نشأته الفلسفية على طريقة الحكماء المشّائين، وكان قد ألزم نفسَه العكوفَ عليها في رَيعان شبابه، وكان يُعجب بأرسطاليس الملقب بالمعلم الأول. وقد نقل في آخر منطق «كتاب الشفاء» كلامًا لأرسطاليس قال فيه ما ترجمته: «إنا ما روينا عمن تقدمنا في الأقيسة إلا ضوابطَ غير مفصّلة، وأما تفصيلُها وإفرادُ كلِّ قياس بشروطه وضروبه، وتمييزُ المنتج عن العقيم إلى غير ذلك من الأحكام، فهو أمرٌ قد كدَدْنا فيه أنفسنا وأسْهَرْنا فيه أعينَنا حتى استقام على هذا الأمر، فإن وقع لأحدٍ ممن يأتي بعدنا فيه زيادةٌ أو إصلاحٌ فَلْيُصْلِحْهُ، أو خلل فليسدَّه.» فذيّله الشيخ بقوله:

---

(١) شرح الشيرازي ورقة ٢. - المصنف. شهرزوري، شمس الدين محمد: **شرح حكمة الإشراق**، تحقيق حسين ضيائي تربتي (طهران: مؤسسة مطالعات، ١٣٨٠ هجري شمسي)، ص١٣؛ شيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص٢٤. هذا وهناك بين النشرتين اختلاف في هذا النص الذي استشهد به المصنف من كلام السهروردي لا ندري مأتاه، ولعله بسبب اختلاف النسخ المخطوطة التي اعتمدت في التحقيق.

(٢) المعلم الثاني محمد بن محمد بن طَرَخان (بفتحتين)، منسوب إلى فاراب مدينة فوق بلاد الشاش وراء نهر سيحون في تخوم الصين. توفيّ سنة ٣٣٩هـ. - المصنف.

«انظروا معاشرَ المتعلمين، هل أتى بعده أحد زاد عليه، أو أظهر فيه قصورًا، أو أخذ عليه مأخذًا، مع طول المدة وبُعد العهد؟ بل كان ما ذكره هو التامّ الكامل، والميزان الصحيح، والحق الصريح.» ثم قال في شأن أفلاطون: «أما أفلاطن الإلهي فإن كانت بضاعته من الحكمة ما وصلنا من كتبه وكلامه، فلقد كانت بضاعتُه من العلم مزجاة.» [(١)]

والسببُ الذي أشار إليه الشيخ بكلامه هذا هو الذي دفع معظم فلاسفة الإسلام إلى الإقبال على الحكمة المشّائيّة لوفرة مادتها وكثرة مصنفات إمامها؛ لأن تصانيف أفلاطون كانت قليلة وقصيرة، مثل كتابه المسمى «طيماوس»، وكتابه المسمى «بوليطيا» وهما في الإلهيات. وقد كان مأثورًا عن أفلاطون أنه كان يصون الفلسفة عن التدوين كيلا يتناولها مَنْ ليس أهلاً للتخلّق بها. ثم إن الشيخ أبا علي لَـمَّا اكتهل شبابُه، وجذم نابُه، وفاض بالحكمة وِطابُه، بدت له وجوهٌ من النقد للحكمة المشّائيّة، فكان يعزو أغلاطَها للذين دوّنوا كلامَ أرسطاليس وينزّه إمامَهم، ولاسيما في العلم الإلهي.

فمن ذلك قولُه في كتاب الإشارات: «إن قومًا من المتصدِّرين يقع عندهم أن الجوهر العاقل إذا عقل صورةً عقلية صار هُوَ هِيَ.» [(٢)] قال نصير الدين الطوسي في شرحه: «قصد إبطالَ مذهبٍ فاسد كان مشهورًا عند المشائين بعد المعلم الأول.» [(٣)]

---

(١) شرح الشيرازي ورقة ٧ وورقة ٨. - المصنف. شيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص١٩-٢٠. وقد سبق توثيق كلام ابن سينا في حاشية بآخر مقال «احترام الأفكار».

(٢) صفحة ٣٢٢ طبعة الآستانة سنة ١٢٩٠. - المصنف. **الإشارات والتنبيهات**، نشرة دنيا، القسم الثالث، ص٢٦٧.

(٣) وسياق كلام الطوسي ولفظه هو الآتي: «لَـمَّا فرغ [ابن سينا] من إثبات وجوب بقاء النفس الناطقة، مع معقولاتها المكتسبة بذاتها، التي هي كمالاتها الذاتي، أراد أن يبين كيفيةَ اتصافها بتلك الكمالات، فبدأ بإبطال مذهب فاسد في ذلك كان مشهورًا بعد المعلم الأول، عند المشائين من أصحابه.» **الإشارات والتنبيهات**، نشرة دنيا، القسم الثالث، ص٢٦٧.

وقال الشيخ في موضع آخر من الإشارات(١): «وكان لهم رجلٌ يعرف بفرفوريوس،(٢) عمل في العقل والمعقولات كتابًا بنى المشّاؤون عليه. وهو حَشَف كله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يفهمونه، ولا فرفوريوس نفسه.» (٣)

ثم ارتقى الشيخُ فاقتبس من حكمة الإشراق أهمَّ مسائل الإلهيات، ورجّحها في ذلك على حكمة المشائين، ولقّب حكمةَ الإشراق بالحكمة المتعالية.(٤) وضمّ إليها ما هو من فيوضات عقله ومنتجات أقيسته وآثار حَدْسه وكشفه، فاجتمعت له من مدرسة الحكمتين طريقةٌ جديدة في الحكمة خاصة به، وشارف بذلك أن تكون له حكمة جديدة.

وقد نحا في صنعه هذا منحى حكماء الإسلام في الطب والكيمياء والفلك والجغرافيا، وهي الطريقةُ التي تُدعى طريقةَ التصحيح والتفريع، وأحسب أن الشيخ أولُ من نَحَا هذا المنحى في الفلسفة. بيد أن الطريقة التي توخّاها إنما يظهر مفعولُها نافعًا في خصوص علم ما وراء الطبيعة، وهو الكلي والإلهي؛ إذ قد يُجدي الذوقُ والإشراقُ في هذا العلم، ولا يظهر لها نفعٌ في العلوم التي أدلتها البراهين. ومَنْ شاء أن يظهر له هذا جليًّا فليطلبه من مباحث الأجرام السماوية وحركاتها من «كتاب الإشارات».(٥)

---

(١) صفحة ٣٢٤. - المصنف.

(٢) فورفوريس [Porphyry] فيلسوف من مدينة صور من بلاد سوريا [في لبنان الآن]، ولد سنة ٢٣٢م وتوُفِّيَ في ٣٠٤ بمدينة رومية. وكان من أتباع الحكيم أفلوطين أحد أساتذة الفلسفة الإسكندرانية التي نشأت عن فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسططاليس. ألف كتاب «إيساغوجي» [في المنطق]، وله مقالاتٌ في الرد على النصارى. - المصنف.

(٣) **الإشارات والتنبيهات**، نشرة دنيا، القسم الثالث، ص٢٧١.

(٤) صفحة ٣٩٥ و صفحة ٣٩ من الإشارات بشرح الطوسي، طبع الآستانة. - المصنف. **الإشارات والتنبيهات**، نشرة دنيا، القسم الرابع، ص١٢٢. هذا وقد اتخذ مصطلح «الحكمة المتعالية» أبعادًا جديدة مع صدر الدين الشيرازي، وخاصة في كتابه «الأسفار العقلية الأربعة»، حيث حاول من خلالها التأليف بين الفلسفة المشائية الاستدلالية والمدرسة الاشراقية الذوقية ومقررات الوحي فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

(٥) المرجع نفسه، ص١٨٥-٢١٥ و٢٣١-٢٣٦.

الحكمة المشرقية:

تحيّر الباحثون في ماذا يُراد بالحكمة المشرقية، فإن الشيخ يذكر في كتبه طائفة «المشرقيين»، حتى ظنت ظنونٌ أن الحكمة المشرقية هي عينُ حكمة الإشراق. وقد تعرض الذين ترجموا حياة الشيخ في جريدة أسماء كتبه أنه ألّف كتابًا سماه «الحكمة المشرقية»، وألّف «نقض الحكمة المشرقية»[(١)]، وكتابًا سماه «الإنصاف» بين المشرقيين والمغربيين،[(٢)] كلُّ هذه من الكتب الثابتة النسبة إلى الشيخ، ذكرها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني[(٣)] الذي كان أشدَّ الناس ملازمةً للشيخ، ونقلها عنه مترجموه.

فأما كتاب «الحكمة المشرقية» فقالوا إنه لم يتمّه، وأما «نقض الحكمة المشرقية» فلا يُعرف، وأما كتاب «الإنصاف» فانتهبه عساكرُ السلطان مسعود[(٤)] في اليوم التالي الذي وصل فيه السلطان إلى أصفهان في جملة ما انتهبوه من رحل الشيخ ابن سينا، فلم يوقف له على أثر بعد.[(٥)]

---

(١) كذا في الأصل، وفي الأمر غرابة؛ إذ كيف يصنف ابن سينا كتابين: واحدًا في الحكمة المشرقية يدعو إليها والآخر في نقضها؟ ولعلَّه جرى تصحيف من ناشر المقال أو سهو من المصنف نفسه، فربما يكون النقض للحكمة المشائية التي يبدو أن الشيخ الرئيس بدأ يميل عنها في كتاب «الإشارات والتنبيهات»، وعليه يكون الصواب في هذا الكتاب المنسوب جنبًا مع كتاب «الحكمة المشرقية» هو «نقض الحكمة المشائية».

(٢) انظر تحقيقًا جيدًا حول هوية هذا الكتاب ومضمونه ومصيره في قنواتي، جورج شحاتة: **مؤلفات ابن سينا** (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٠)، ص١٦-١٧.

(٣) هو أبو عبيد عبدالواحد بن محمد الجوزجاني، صحب ابن سينا، وتلمذ له، وخدمه خمسًا وعشرين سنة. كان فقيهًا حكيمًا، كتب فهرساً بمصنفات أستاذه، كما كتب له سيرة صار عليها المعوَّل في معرفة أطوار حياة هذا الفيلسوف. وكذلك صنف كتاب تفسير مشكلات القانون، وكتاب شرح رسالة حيّ بن يقظان، وكلاهما من مؤلفات أستاذه. تُوُفِّيَ بهمدان سنة ٤٣٨هـ.

(٤) هو السلطان مسعود بن سبكتكين الغزنوي، ملك خراسان وما وراء النهر. ولد سنة ٣٦١هـ وتوفِّيَ سنة ٤٣٢هـ. وكان دخولُه أصفهان سنة ٤٣١هـ بسبب ثورة أهلها عليه حين كان بخراسان، فعمد إليها وفتحها عنوة. - المصنف.

(٥) قاله القفطي. - المصنف. وفضلاً عن الكتب المذكورة، فإن لابن سينا مصنفاتٍ أخرى ضاعت مع ما ضاع من تراثه الفكري والعلمي، منها «الحاصل والمحصول» في الفقه والتفسير والزهد، =

ونحن هيأنا لك فيما قدّمناه مفتحًا تتعرف منه كيف تولّدت الحكمةُ المشرقية للشيخ ابن سينا. فالحكمة المشرقية طريقةٌ من الحكمة تغايرها الحكمةُ المغربية، فليست هي حكمة الإشراق؛ لأن تلك تقابلها الحكمةُ المشائية. والحكمة المشرقية لا تعتزي إلى اليونان؛ لأن الشيخ قال في مقدمة الكتاب -الذي هو موضوع بحثنا والذي سنتحدث عنه أخيرًا- ما نصُّه: «ثم قابلنا جميع ذلك بالنَّمَط الذي يسميه اليونان المنطق، ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره»،[١] ولأن الشيخ قد ألف كتابًا سمّاه «الإنصاف بين المشرقيين والمغربيين».[٢]

فعلمنا من جميع ذلك أنه يعني بالمغربيين اليونان، وأنه يعني بالمشرقيين غيرَهم، وعلمنا أيضاً أن المشرقيين قومٌ يسكنون شرقَ بلاد اليونان، فعلمنا إذن أنه لا يريد بالحكمة المشرقية الحكمة المصريّة القديمة التي هي من أمهات الحكمة اليونانية، إذ تعلّم فيها سائرُ الحكماء من طاليس إلى أفلاطون؛ لأن الحكمة المصرية القديمة تلاشت.

ولا يعني الحكمة المصرية الحديثة، وهي الإسكندرانية المنسوبة إلى البطالسة؛ لأنها شعبةٌ من الحكمة اليونانية. ولا يريد حكمةَ أهل سيرينييك -أي بَرْقَة القديمة[٣]-

= و«البر والإثم» في الأخلاق، «ولسان العرب» في اللغة. انظر في ذلك: البيهقي، ظهيرالدين: **تاريخ حكماء الإسلام**، تحقيق محمد كرد علي (دمشق: مكتبة الترقي، ١٣٦٥/ ١٩٤٦)، ص٥٧ و٦٥-٦٧؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، نشرة بعناية إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥)، ص٣٠٧-٣١١.

(١) صفحة ٣ من الكتاب المعنون منطق المشرقيين. - المصنف. ابن سينا: **منطق المشرقين**، ص٢٠.

(٢) ذكر ابن أبي أصيبعة كتاب الإنصاف وقال إنه «عشرون مجلدة شرح فيه جميع كتب أرسططاليس وأنصف فيه بين المشرقيين والمغربيين.» ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٨-١٣٩٩/ ١٩٧٨-١٩٧٩)، ج٣، ص٢٧.

(٣) سميت سيرينييك نسبة إلى قاعدة البلاد المسماة سيرين [Cyrene] التي سميت بعد حين قرينة، وهي مدينة أسست في القرن السابع قبل المسيح، أسسها جماعة من أهل جزائر «طيرا» من جزائر =

التي تعلّم فيها أفلاطون وأرستيبوس،[١] ولا حكمة بلاد إيطاليا التي تعلم فيها فيثاغورس؛[٢] لأن هذه الأقطار غربٌ لبلاد اليونان.

فلم يبقَ إلا أن يكون المشرقيُّون إما الهنود وإما الفرس؛ لأن هاتين الأمتين كانتا أمتي حكمة. فالشيخ لا يريد الهنود؛ لأن حكمة الهند لم يترجم منها إلا قليلٌ في التربية الرّمزية، مثل «كليلة ودمنة»، وجمل منقولة في معنى بلاغة الكلام.[٣]

أما الفرس فقد كانت لهم حكمةٌ واسعة، وظهر منهم أساطين فيها من عهد معلِّم الحكمة الأول عندهم وهو كيومرث،[٤] ثم انتقلت بتوالِي الأزمنة إلى زرادشت وتلميذَيه جاماسب وفرشاوشير وإلى بزرجمهر.[٥] غير أن الحكمةَ الفارسية لم تصل إلى عصر الشيخ منتظمةً مدونة، ولم يبق للفرس بعد انقراض ملكهم من آثار حضارتهم العلمية إلا بقيةُ كتب الدين، مثل «كتاب الزند» لزرادشت الذي هو كتاب ديانة المجوس، وهم فئة قليلة حينئذٍ ببلاد الفرس. قال قطب الدين الشيرازي

= الأرخبيل اليوناني، وقد ازدهرت حضارتها وصارت مقر علوم، ونشأ بها الحكيم أريستيب [Aristippus] تلميذ سقراط ومعاشر أفلاطون، وقصدها جماعة من الفلاسفة. - المصنف.

(١) أريستيب Aristippus (٤٣٥-٣٦٦ق.م.)، فيلسوف يوناني، كان معروفاً بكونه من أبرز أتباع سقراط. ينسب إليه أو إلى حفيده وسميِّه تأسيس المذهب القوريني (Cyrenaic School) القائم على فكرتي الذاتية واللذة أو المنفعة.

(٢) فيثاغورس [Pythagoras] الحكيم الجليل، أصله من جزيرة ساموس. درس الحكمة في إيطاليا، فصارت طريقته في الحكمة تُدعى إيطالية. ولد سنة ٥٦٤ق.م، وتوفِّيَ سنة ٤٨٤. - المصنف.

(٣) كانت علاقة الحكمة الهندية بالحكمة اليونانية ضعيفة، وإن كان بعضُ الفلاسفة اليونان زار الهند مثل بيرهون [Pyrrho, Pyrrhon] إمام الفلسفة السفسطائية. إلا أن ذلك مع قلته قد دخل في الفلسفة اليونانية، ولم يكن طريقة ممتازة. - المصنف. وقد عاش بيرهون الإيلي، الذي يعد من قدامى أئمة الفلسفة الشكية المطلقة في اليونان، بين سنتي ٣٦٠ و٢٧٥ قبل ميلاد المسيح. أسس ما أصبح يعرف بالمدرسة البيرونية القائلة بتكافؤ الأدلة وباستواء الاحتمالات في كل شيء. وقد زار الهند وفارس خلال مرافقته للإسكندر في بعض حملاته عليهما.

(٤) كيومرث أو جيومرث Kiomarth هو أوّل ملوك الفرس حسب الشاهنامة، وهو الإنسان الأوّل حسب كتاب زرادشت الأفستا (Avesta) والذي نسلت منه الأمم الآرية.

(٥) شرح الشيرازي، ورقة ٦. - المصنف. شيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص١٧.

في «شرح حكمة الإشراق»: «وقد أتلفت حكمتَهم -يعني الفرس- حوادثُ الدهر، وأعظمُها زوال الملك عنهم، وإحراق الإسكندر الأكبر من كتبهم وحكمتهم.» [١]

فليست الحكمةُ المشرقية -فيما أرى- سوى ما فاض به عقلُ الشيخ من المعارف والأذواق التي محّص بها كلتا الحكمتين الإشراقية والمشائية، وأخذ من خلاصتها مصححاتٍ قيّمة كما قدمناه لك، وأضاف إليها ما بلغ إليه من تراث الحكمة الفارسية أصولاً قليلة مما تناقلته الأفاضلُ بطريق التلقين. وإذ كانت لم تصل إليه الحكمةُ الفارسية متناسقةً اضطُر إلى تخيّلها وترسّمها بما أمكنه، ثم مزج ذلك ببعض ما لأهل التصوف الإسلامي من الأذواق والكشوفات، مما شهد بصحته العقلُ السليم. وخوَّلَه ذلك أن فنّ التصوف أثر مشرقي رُكِّب على قواعد الزهد الإسلامية، ثم رصّعها الشيخُ ببراهينه وبلاغة تعبيره. ويشهد لذلك أنه عدَل في كتاب «الإشارات» عن بعض المصطلحات الفلسفية، وعوّضها بالمصطلحات الصوفيّة، مثل التعبير عن الحكيم بالعارف. [٢]

ومزج الشيخُ بين حكمة الإشراق والحكمة الفارسية، فركّب منهما الحكمةَ المشرقية؛ إذ كانت حكمةُ الإشراق أقربَ إلى الحكمة الفارسية من الحكمة المشائية. قال الشيرازي في «شرح حكمة الإشراق»: «وكان اعتمادُ الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف، وكذا قدماء اليونان، خلا أرسطو وشيعته، فإن اعتمادهم على

---

(١) شرح الشيرازي، ورقة ٧. - المصنف. **شرح حكمة الإشراق**، ص١٧. وهناك بعض الاختلاف بين ما أورده المصنف وما في النسخة المطبوعة، حيث جاء بلفظ: «وقد أتلفت حكمتَهم حوادثُ الدهر، وأعظمُها زوالُ الملك عنهم، وإحراق الإسكندر الأكبر من كتبهم وحكمتهم.»

(٢) صفحة ٣٧٤ من الإشارات بشرح الطوسي طبع الآستانة عام ١٢٩٠. -المصنف. ابن سينا: **الإشارات والتنبيهات**، القسم الرابع، ص٥٨-٧٨ و٩٦-١١٠.

البحث والبرهان.»[١] وقال في ذكر عِلم الفُرس: «وهو بعينه ذوق فضلاء اليونان، وهاتان الأمتان متوافقتان في الأصل.»[٢]

وأحسب أن مسائلَ النمط التاسع والنمط العاشر من كتاب «الإشارات»[٣] هو ما يعنيه الشيخ ابن سينا بالحكمة المشرقية، فإن كتاب «الإشارات» هو آخرُ ما ألّفه الشيخ، كما صرّح به الصَّفَدي في «الوافِي في الوفيات».[٤] وقد وجدتُ من كلام الحكيم أبي بكر ابن الطفيل الأندلسي[٥] موافقًا لي على هذا الحسبان؛ فإنه قال في صدر رسالة «حي بن يقظان»: «سألتَ أيها الأخ... أن أبثّ إليك ما أمكنني [بثُّه] من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ [الرئيس] أبو علي ابن سينا... إلخ».[٦] ثم ذكر كلامًا لأبي بكر بن باجة[٧] في طريق تحصيل العلم،[٨] ثم قال عقِبه:

---

(١) **شرح الشيرازي**، ورقة ٤. -المصنف. **شرح حكمة الإشراق**، ص١١.

(٢) **شرح الشيرازي**، ورقة ٧. -المصنف. **شرح حكمة الإشراق**، ص١١.

(٣) وفيهما تحدث ابن سينا عن «مقامات العارفين» و«أسرار الآيات»، **الإشارات والتنبيهات**، القسم الرابع، ص٤٧-١٦٤.

(٤) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠)، ج١٢، ص٢٥٠.

(٥) هو الحكيم أبو بكر محمد بن عبد الملك المعروف بابن طفيل (بضم الطاء وفتح الفاء) القيسي، الأندلسي. أصله من بلد وادي إش قرب غرناطة. توفي في مراكش سنة ٥٨١. انظر الإحاطة. - المصنف. ابن الخطيب، لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبدالله عنان (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٩٤/ ١٩٧٤)، ج٢، ص٤٧٨-٤٨٢.

(٦) أمين، أحمد (محقق): **حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي** (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٢، سلسلة ذخائر العرب)، ص٥٧؛ **حي بن يقظان: النصوص الأربعة ومبدعوها**، دراسة وتحقيق يوسف زيدان (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٨)، ص١٢٥-١٢٦. والرابع هو ابن النفيس، وما بين الحاصرتين ليس في نشرة أحمد أمين.

(٧) هو الحكيم أبو بكر محمد بن يحيى، المعروف بابن باجة (بتشديد الجيم، كلمة من عجمية الأندلس بمعنى الفضة)، ويُعرف أيضًا بابن الصايغ (بصاد مهملة وغين معجمة)، السَّرقُسطي، الأندلسي، الفيلسوف الكبير، والشاعر المفلق. تُوُفِّيَ في مراكش ٥٣٣ وقيل سنة ٥٣٢. ترجمه ابن خلكان، وهو مذكور في قلائد العقيان. - المصنف.

(٨) وكلام ابن باجة الذي أشار إليه المصنف هو قوله: «إذا فهم المعنى المقصود من كتابه ذلك، ظهر عند ذلك أنه يفهم ذلك المعنى في رتبة يرى نفسه فيها مباينًا لجميع ما تقدم، مع اعتقادات أخر =

«وهذه الرتبة التي أشار إليها أبو بكر يُنْتَهَى إليها بطريق العلم النظري والبحث الفكري، ولا شك أنه بلغها ولم يتخطَّها. وأما الرتبة التي أشرنا إليها نحن أولاً فهي غيرُها، وإن كانت إياها، بمعنى[(١)] أنه لا ينكشف فيها أمرٌ على خلاف ما انكشف في هذه، وإنما تغايرها بزيادة الوضوح ومشاهدتها بأمر لا نسميه قوةً إلا على المجاز، إذ لا نجد في الألفاظ الجمهورية ولا في الاصطلاحات الخاصة أسماءً تدل على الشيء الذي يُشاهَدُ به ذلك النوعُ من المشاهدة.»[(٢)]

ثم ذكر كلام الشيخ في «الإشارات» في أحوال العارفين،[(٣)] ثم قال: «فهذه الأحوال التي وصفها إنما أراد بها أن تكون له ذوقًا لا على سبيل الإدراك النظري المستخرَج بالمقاييس وتقديم المقدمات [وإنتاج النتائج].»[(٤)]

وقال الشيرازي في ديباجة «شرح حكمة الإشراق»: «ليس كلُّ العلوم تحصل بالقيل والقال، بل منها ما لا يحصل إلا بتلطيف السِّر والحدس من الأحوال، وعلى هذا نبه الشيخ الرئيس [بلغه الله منتهى مقامات الأبرار بحق الْمصطَفَيْن الأخيار] في مواضع من «الإشارات» [وكذا في الشفاء والنجاة] بقوله: «تلطّف من نفسك» وبقوله: «فاحدس من هذا» وأمثالها.»[(٥)] فهذان الحكيمان يوجهان في بيان حكمة ابن سينا إلى كتاب «الإشارات».

خفتت الحكمةُ المشرقية بخمود تلك النفس المشعة - نفس الشيخ أبي علي رحمه الله. حتى جاء الشهابُ السهروردي، فترسَّم طُولَها،[(٦)] وبنى على أسسها، ودل

= ليست هيولانية، وهي أجل من أن تُنسَبَ إلى الحياة الطبيعية، بل هي أحوالٌ من أحوال السعداء منزهةٌ عن تركيب الحياة الطبيعية، خليقةٌ لأن يقال لها أحوال إلهية يهبها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده.» المصدر نفسه، ص٥٨ (نشرة أمين) وص١٢٧ (نشرة زيدان).

(١) تفسير لكونها عينها وكونها غيرها؛ أي في أنَّها يحصل بها من العلم ما يحصل بالأخرى. وأما المغايرة بينهما، ففي طريق تحصيله وشدة وضوحه. - المصنف.

(٢) **حي بن يقظان**، ص٥٩ (نشرة أمين) وص١٢٧ (نشرة زيدان).

(٣) ابن سينا: **الإشارات والتنبيهات**، القسم الرابع، ص٧٦-٨٥.

(٤) **حي بن يقظان**، ص٦٠ (نشرة أمين) وص١٢٨ (نشرة زيدان).

(٥) **شرح حكمة الإشراق**، ص٢. وما بين حاصرتين لم يورده المصنف، واستكملناه من النسخة المطبوعة.

(٦) كذا في الأصل، ولعل مراده أنه تابعها وسار عليها.

على امتزاجها بحكمة الإشراق في مواضع من كتابه المسمى «حكمة الإشراق» فقال: «وعلى هذا (أي على سلوك طريقة الرّمز) تبتنِي قاعدةُ الشرق في النور والظلمة التي كانت طريقةَ حكماء الفرس، وهي ليست قاعدةَ كَفَرة المجوس وإلحاد مانِي،[١] وما يفضي إلى الشرك بالله تعالى.»[٢]

وسَمَّى حكماءَ الفرس بحكماء الشرق، فقال في مقالة التناسخ: «وهي (أي الصيصية) [٣] أولُ منزل للنور الأسفهبذ[٤] على رأي حكماء الشرق».[٥] وعنى بحكماء الشرق حكماءَ الفرس، لقوله في موضع آخر: «وبهما تتم الخلافتان الصغرى والكبرى؛[٦] فلذلك أُمِر الفرسُ بالتوجه إليها فيما مضى من الزمان.»[٧] وقال أيضًا: «والأضواء المينوية (أي الروحانية) ينابيع الخُرَّة والرأي التي أخبر عنها زرادُشت، ووقع خِلْسة للملك الصِّدِّيق كيخسرو المبارك فشاهدها، وحكماء الفرس متفقون على هذا، وهي الأنوار التي أشار إليها أنبادقليس[٨] وغيره.»[٩]

---

(١) مانِي متفلسف أصله من الصين، ولد سنة ٢١٥م، وجاء إلى فارس في سلطنة سابور بن أردشير (٢٤٢-٢٧٣) فنفاه سابور إلى بلاد الهند. ثم عاد إلى فارس في ولاية بهرام بن سابور فقتله بهرام، وفي ذلك خلاف. قال ماني بإلهين: النور والظلمة. - المصنف.

(٢) **شرح حكمة الإشراق**، ص١٧.

(٣) الصيصية في اصطلاحه هي الجسد. - المصنف.

(٤) هو بالفارسية الرئيس المدبر. - المصنف.

(٥) ورقة ١٧٢ من شرح حكمة الإشراق. - المصنف. **شرح حكمة الإشراق**، ص٤٥٩.

(٦) الخلافة الصغرى خلافة النار عن الشمس، والكبرى خلافة الإنسان عن الخالق المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. - المصنف.

(٧) **شرح حكمة الإشراق**، ص٤١٨. والضمير «هما» في عبارة «وبهما» يعود على النار والنفس.

(٨) أنبادقليس حكيم يوناني من تلامذة فيثاغورس، والشيرازي يذكر أنه أستاذ فيثاغورس. كان يتردد بين صقلية وأثينا. توفي في أثينا. ويقال: إنه ألقى بنفسه في بركان قرب أثينا. - المصنف.

(٩) شيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص٣٥٧-٣٥٨. وما بين القوسين من شرح الشيرازي. ومعنى الخُرة كما نقل الشيرازي عن كتاب الألواح للسهروردي إشارة إلى ما «يُسمَّى كيان خرة، وهو ألَقٌ في النفس قاهرٌ تخضع له الأعناق.»

ولمَّا ذكر السهرورديُّ الشمسَ وفضلَها على الكواكب، قال الشيرازي في شرحه: «ولهذه الفضائل والكمالات ذهب أربابُ المكاشفات العقلية وأصحابُ المباحثات الشرقية من حكماء الشرق إلى وجوب تعظيمه».(١) وهو يعني حكماء الفرس؛ لأنهم عبدوا الشمسَ بعنوان كونها ربَّ النور، وتُسمَّى بهذا الاعتبار رخش.

وقال الشيرازي في موضع آخر: «إن المصنِّف (يعني السهروردي) قد أحيا كَلِمَهم ومذاهبَهم (أي الفُرس) في هذا الكتاب، وقد أتلفَت حكمتَهم حوادثُ الدهر وأعظمُها زوالُ الملك عنهم. والمصنِّف لما ظفر بأطراف منها ورآها موافقة للأمور الكشفية الشهودية، استحسنها وكملها.»(٢) وقد يعني السهروردي بالمشرقيين جميعَ حكماء الشرق من فرس وبابليِّين وهنود، وقد وقفتُ له على هذا الإطلاق في قوله: «فكذا الغاسق مشتاق إلى النور، قال يوذاسف(٣) ومن قبله من المشرقيين: إن باب الأبواب لحياة جميع الصياصي العنصرية الصيصية الإنسية.»(٤)

فبان لنا أن السهروردي اقتبس طريقةَ الحكمة المشرقية من الشيخ ابن سينا، وأن طريقته تمتاز عن طريقة الشيخ بالتصريح ببعض قواعد رياضة النفس عند المشارقة، وبإيداع الكلمات الفهلوية(٥) في قواعد الحكمة، كما سَمَّى النور الفعّال في

---

(١) ورقة ٧ من شرح **حكمة الإشراق**. - المصنف. **شرح حكمة الإشراق**، ص٣٤٥. في المطبوع «الكلمات» بدل «الكمالات»، وواضح أنه خطأ لم يتنبه إليه المحققان. والمقصود بالفضائل والكمالات فضائل الشمس وكمالاتها بالنسبة إلى سائر الكواكب.

(٢) ورقة ٧ من شرح حكمة الإشراق. - المصنف. المصدر نفسه، ص١٧.

(٣) يوذاسف فيلسوف أصله من الهند، وتنقل حتى استقر بالعراق وأرض بابل. وهو مؤسس دين الصابئة، ويقول بالتناسخ. - المصنف. وقال عنه الشيرازي في شرحه (ص٤٥٩): «فيلسوف تناسخي من الهند، وقيل إنه من هل بابل العتيقة، عالم بالأدوار والأكوار. وقد استخرج سني العالَم، وهي ثلاثمأة [كذا، وهو قطعًا خطأ] ألف وستون ألف سنة، وحكم بأن الطوفان يقع في أرضها، وحذر قومه بذلك. وقيل: هو الذي شرع دين الصابئة لطهمورث الملك.»

(٤) أي الجسم الإنساني. - المصنف.

(٥) أي كلمات من اللغة البهلوية (Pahlavi) أو الفارسية القديمة.

الأرض والمعادن باسم إسفندارمذ، وسَمَّى النفس الناطقة إسفَهبد، وسَمَّى جبريل روانبخش، وسَمَّى الشمس خُرَّة، وسَمَّى الشمس في بعض المواضع رخش.(١)

ولنصير الدين الطوسي في «شرح الإشارات» وللقطب الشيرازي في «شرح حكمة الإشراق» تكملاتٌ لحقائق من الحكمة المشرقية، ولعلّنا نتعرض في مقال آخر إلى ما أودعه المشايخ الأربعة من الحكمة المشرقية البحتة في مطاوي حكمة الإشراق.(٢)

فها أنذا قد أريتك نموذجًا من الحكمة المشرقية، وأشهدتك مبناها ومرادَ مَنْ توخّاها من بين رامزٍ وصريح. وعساك تتفطّن للسبب الذي لأجله لم يستقر منها ما كتبه الشيخ ولا عرف له طريقٌ خاص تمتاز به، وأنها نشأت ملفّقة مخلوطة، ثم انقرضت غير مدروسة ولا مخطوطة. ولقد حُقِّق لديك أن الشيخ الرئيس هو الذي أدخل على الحكمة طريقةً مُحْدَثة لم تكن معهودة، فصار عملُه مبدأ طورٍ جديد في تاريخ الحكمة الإسلامية كانت تكون أوسعَ لو لا أن عاجلته المنية، فكنا نراها طريقةً ثالثة مخطوطة مسلوكة، ولا يقتصر مقدارُ ما وصلَنا منها على مقدار ألوكة.(٣)

الكتاب المعنون «منطق المشرقيين»:

إنني لأعجب من تسمية الكتاب الذي حَدّثتك عنه في أول المقال باسم «منطق المشرقيين»، على حين لا أُلفي هذا الاسم من بين ما يُنسب إلى الشيخ من التصانيف. ثم يرتقي بِيَ العجبُ من إضافة منطق إلى المشرقيين، على حين نجد الشيخ ومتابعيه مصرِّحين بأن الحكمة المشرقية وليدةُ الكشف والذوق، وليس

(١) انظر الشيرازي: **شرح حكمة الإشراق**، ص٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٧، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٤١-٤٤٢، ٤٤٤-٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٣-٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٠-٤٦١، ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) لم يتهيأ لي حتى الآن العثور على أي مقال للمصنف في هذا المعنى، ولست أدري إن كان فعلاً وفَّى بما وعد به، ولعل خبيرًا بتراث الشيخ من ذريته وتلاميذه أن يأتينا بخبر يقين في ذلك.

(٣) الألوكة -بفتح الهمزة- الرسالة، وأصلها الرسالة التي تبلغ شفاهًا، وتُطلق على الرسالة المكتوبة وهو المراد هنا. - المصنف. وهنا ينتهي القسم الأول من المقال.

المنطق إلا أساس الحكمة البحثية، وهو من وضْع إمام تلك الحكمة أرسطاليس. فمن أجل ذلك أيقنتُ أن هذه التسميةَ تسميةٌ مُلصَقة وباطلة. (١)

أما الذي أراه في شأن هذا الكتاب، فهو أنه قطعةٌ من كتاب «ما يوصل إلى علم الحق» - أحد تصانيف الشيخ المعدود في جريدة تآليفه؛(٢) لأنا نجد في ديباجة هذا الكتاب أنه ألّفه «فيما اختلف فيه أهلُ البحث»، وأنه لم يلتفت فيه «لِفْت عصبيةٍ، أو هوى، أو عادة، أو إِلف.» (٣) وقدّمه بمقدمات من المنطق رعيًا لعادتهم في افتتاح كتب الحكمة، ولأنه قصد أيضًا تحريرَ مسائل المنطق.

قال في ديباجته: «نريد أن نوردَ فيه العلمَ الآليَّ، والعلم الكلِّي، والعلم الإلهي، والعلمَ الطبيعي الأصلي»، وذكر أنه ألّفه بعد كتاب «الشفاء» وفي مدة اشتغاله بتأليف كتاب «لواحق الشفاء»، إذ قال في ديباجته: «وأما العامةُ مِنْ مزاولِي هذا

(١) نشر المستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نلينو C. A. Nallino سنة ١٩٢٥ بحثًا مستفيضًا باللغة الإيطالية حول مفهوم الحكمة أو الفلسفة المشرقية وأصولها ومجاريها ومكانة ابن سينا منها بعنوان: «حكمة ابن سينا الشرقية أو الإشراقية؟ *(Filosofia "orientale" od "illuminative" d'Avicenna)*» وقد ترجمه الدكتور عبدالرحمن إلى اللغة العربية بعنوان «محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية». انظر **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية عبدالرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات/ بيروت: دار القلم، ط٤، ١٩٨٠)، ص٢٤٥-٢٩٦.

(٢) كذا ذكر محبّ الدين الخطيب وعبدالفتاح الفتلان في تعريفهما بابن سينا في مقدمة نشرتهما لكتاب «منطق المشرقيين» الصادرة سنة ١٣٢٨/ ١٩١٠ عن المكتبة السلفية بالقاهرة، دون أن يبينا عن معتمدهما في ذلك. إلا أني لم أعثر على ذكرٍ لهذا المصنف في أي من المصادر التي ترجمت للشيخ الرئيس التي أمكنني مراجعتها، بما في ذلك قائمة مؤلفاته التي أوردها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني، ولا هو مذكور في قائمة مصنفات ابن سينا المخطوطة والمطبوعة وما كُتب عنه باللغة العربية واللغات الأخرى التي أعدها الأب قنواتي ونشرتها الإدارةُ الثقافية جامعة لجامعة الدول العربية في كتاب بمناسبة مهرجان ابن سينا. قنواتي، الأب جورج شحاته: **مؤلفات ابن سينا** (القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٠).

(٣) ابن سينا: **منطق المشرقين**، ص١٩.

الشأن، فقد أعطيناهم في كتاب الشفاء ما هو كثيرٌ لهم وفوقَ حاجتهم، وسنعطيهم في اللواحق ما يصلح لهم زيادةً على ما أخذوه.» (١)

والمقدارُ المنشور بالطبع من هذا الكتاب هو قطعةٌ من علم المنطق، فيها مباحثُ الدّلالات، والمفرد والمركب، والتعريفات، والقضايا، والتناقض، وانتهت في أواخر مباحث التناقض انتهاءً يدل على أنه غير متعمَّد. (٢)

فالظاهر أن الكتاب أُصيب بخرم أو تفريق فتلِف آخرُه. وما احتوى عليه هذا المقدار من مسائل المنطق لا يختلف عما تتضمنه متوسطاتُ كتب المنطق، ويُلاحظ أن طريقته تختلف اختلافًا ما عن طريقة المنطقيين بتميّز هذا الكتاب:

أولاً: بمحاولة نقض بعض المصطلحات المشائية في المنطق بما هو أوضح، وإن كان لا يخالف المعنى.

وثانيًا: بمخالفة ترتيبه الترتيب المعتاد، ومثال ذلك أن ما يسميه المناطقة «شروطاً» يجعله الشيخ في هذا الكتاب امتحاناً للقواعد على نحو طريقةِ علم الحساب في امتحان العمليات.

وثالثًا: بأنه خالف في تعقّل الحقائق المنطقية طريقة المنطقيين فيما ظهر له أنهم قصّروا فيه، مثال ذلك أن المنطقيين إذا تكلّموا عن الكليات الخمسة التي لا يخلو

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٢) يشهد لكلام المصنف قول ابن سينا في نهاية النسخة المطبوعة أثناء كلام عن نقيض الموجبة المطلقة الجزئية: «وأما إن كانت بحيث تعم اللازمة المشروطة والطارئة»، وبَيِّنٌ أن الكلام غير مكتمل. وقد جاء في خاتمة مخطوطة المكتبة الخديوية التي اعتمد عليها في نشر الكتاب قول ناسخها عبدالرازق ابن عبدالعزيز بن إسماعيل الفارابي الصفناجي: «هذا مقدارُ ما يوجد من الكتاب.» **منطق المشرقيين**، ص١٤١. ولعل ابن أبي أصيبعة يعني الكتاب نفسه بقوله: «كتاب في الحكمة المشرقية لا يوجد تامًّا». ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء**، ج٣، ص٢٨. وعسى أن ينكشف قادم الأيام عن نسخ أخرى من الكتاب يُجبَر بها هذا النقص.

عن تعقّل بعضها كلُّ تعقُّلٍ لحقيقة شيء من الأشياء (وهي الجنس، والفصل، والنوع، والخاصة، والعَرَض) فإنهم يتكلمون عليها بما يفيد تعقُّلُها من حيث هي صالِحةٌ للوقوع في الأقوال الشارحة للحقائق (أي المعرِّفات)؛ لأن معرفة الحقائق هي أساس الفلسفة. فلذلك كانوا يقسِّمون الكليَّ باعتبار صلاحيةِ وقوعه في جواب سؤال سائل (أي متطلّب لشرح حقيقةٍ ما)، فيقولون مثلاً: «الجنس هو المقول في جواب ما هو على كثيرين مختلفين الحقيقة.»[١]

ونجد الشيخَ سلك في هذا الكتاب إلى تقرير مبحث الكلّيّات من نهج آخر، وهو نهج تعقلها بأوصافها الثابتة لها من حيث هي هي، بقطع النظر عن صلوحيتها للوقوع في الأقوال الشارحة؛ أعني بوصف كونها مواهيَ وحقائقَ متعَقَّلةً في نفسها، سواء وقعت في القول الشارح أم لم تقع. فلذلك قسّمها في هذا الكتاب باعتبار كونها مقوِّمةً لحقيقة ما وغير مقومة، أو باعتبار كونها ملازمةً لحقيقةٍ ما وغير ملازمة.[٢]

والطريقتان متآيِلتان،[٣] والشيخُ لم يعلل وجهَ مخالفته الطريقةَ المشهورة. وأنا أظن أنه قصد من ذلك أن العلمَ بالكليات الخمسة هو في ذاته علمٌ بحقائق كثيرة الجدوى على الحكيم؛ فإن منها المقولات، وهي الأجناس العالية للموجودات.

ووجهُ العلم بالكليات في الطريقتين إنما هو بالرسم؛ أعني تعريفَ الماهية بلوازمها، فإن كونَ الكليِّ واقعًا في الجواب أو كونه مقوّمًا وغيرَ مقوم، أو لازمًا

---

(١) انظر مثلَ هذا التعريف للجنس في كتاب «النجاة» لابن سينا نفسه حث يقول: «الجنس هو المقولُ على كثيرين مختلفين بالأنواع في جواب ما هو.» ثم شرح هذا التعريف بقوله: «وقولنا مختلفين بالأنواع، أي بالصور والحقائق الذاتية، وإن لم تعرف بعد النوع الذي هو مضاف إلى الجنس. وقولنا في جواب ما هو، أي قولاً بحال الشركة، لا بحال الانفراد.» ابن سينا، الشيخ الرئيس الحسين أبو علي: **كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية**، تحقيق ماجد فخري (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٥/ ١٩٨٥)، ص٤٧.

(٢) ابن سينا: **منطق المشرقيين**، ص٣٢-٥٩.

(٣) متآيلتان، أي تؤولان المآل ذاته أو إلى النتيجة ذاتها.

وغير لازم، كل ذلك من التعريف باللازم. إلا أن تعقل الكلِّي من حيث إنه مقوم وغيره، أو لازم وغيره، أقرب إلى ذاتية الكلي من تعقله من حيث إنه واقع في جواب.

فهذا نموذجٌ من تدقيقات الشيخ في تمحيص أساليب الحكمة. ولا شك أنه ما تفرغ إلى محاولة تهذيب الأساليب إلاّ بعد أن مَرِس بالحكمة مِراسًا، وحُقّ له أن يلقّب فيها شيخًا ورأساً.